

استدراكات على ديوان الرصافي البننسي
تحقيق: د. إحسان عباس
نشر دار الشرق، بيروت 1403هـ - 1983م

بقلم د. مصطفى الغديري
كلية الآداب - جامعة محمد الأول
وجدة - المغرب

منذ ما يقرب من أربعين سنة صنع الدكتور إحسان عباس ديوانا للشاعر الأندلسي أبي عبد الله محمد بن غالب الرصافي البننسي (ت. 572/1176)، بعد أن استخرج شعره من مظان مختلفة، يوم كانت أكثر المصادر الأدبية الأندلسية، المتداولة اليوم، مخطوطة أو مجهولة لدى كثير من المهتمين بتراث الغرب الإسلامي، ومع ذلك تمكن هذا الباحث العالم من جمع تسع وخمسين قطعة شعرية للشاعر، بين قصيدة ومقطوعة ومقطعة، وهو ما يمثل ستا وأربعين وخمس مائة بيت (1).

وتمضي اثنتان وعشرون سنة على إصدار هذه النشرة ليكتشف المحقق نفسه مصدر مخطوطا يضم بين دفتيه أشعارا أخرى للشاعر، ويتعلق الأمر بكتاب:

«أدباء مالقة» لابن خميس المالقي (2)، فيضمها إلى ما سبق نشره، ويصدر

(1) صدرت هذه النشرة عن دار الثقافة، بيروت 1960 ط. أولى.

(2) أصل هذا الكتاب يحمل اسما يختلف من مصدر لآخر (انظر الإحاطة لابن الخطيب 1/83، 174)، تاريخ قضاة الأندلس للتباهي: 123... أعلام مالقة وأدباء مالقة لابن عسكرا ما يزال محجوبا عنا، والذي وصل إلينا هو جزء منه أمه ابن أخته ابن خميس المالقي وقد عتونه بفقهها مالقة وأديانها، توجد نسخ مصورة منه عند العالم محمد المنوني والحزاة العامة، والحزاة الحسنية بالرباط.

الديوان في طبعة ثانية أنيقة، إخراجاً وتحقيقاً وتقديم فهرسة ومحتوى. (3).

وغني عن البيان أن الرصافي جعله النقاد الأندلسيون ورواة شعره من المغرب والمشرق شاعراً فحلاً في الطبقة الأولى بين معاصريه إجابة وكثرة⁽⁴⁾. ومن بين هؤلاء أبو إسحاق إبراهيم المعروف بالبونسي الذي خص شعره بحيز لا بأس به في كتابه «كنز الكتاب ومنتخب الآداب»⁽⁵⁾، إذ قال في حقه: «وكلام أبي عبد الله عذب سهل، ونظمه مثقف... أعيق من المسك، وأعذب من صفو المدام شيب بماء الغمام... فائز القداح في نثارة ونظامه»⁽⁶⁾. وقال فيه أيضاً، وهو يقدم قصيدته التي مدح فيها عبد المؤمن بن علي عند نزوله بجبل الفتوح: «ومن قول الرصافي المنزه عن التعقيد والاستكراه»⁽⁷⁾.

وعند ظهور هذا الكتاب المهم تبين لي أن كثيراً من شعر هذا الشاعر ما يزال محبوباً عنا، فعسى أن تجود الأيام كما جادت بكنز الكتاب الذي يضم كثيراً من أشعاره.⁽⁸⁾

وتعميماً للفائدة أنشر ما انفرد به هذا الكتاب من شعر الرصافي، رغم كثرة الخروم التي لحقت، فعسى أن يقف الباحثون على هذه النصوص في مصادر أخرى ويعملوا على ترميمها.

(3) صدرت الطبعة الثانية عن دار الشرق، بيروت 1983/1403

(4) لا داعي إلى استعراضها بعد أن أوردتها محقق الديوان في صفحات مختلفة في المقدمة ص.ص. 10-27.

(5) كتاب كنز الكتاب ومنتخب الآداب تأليف أبي إسحاق إبراهيم بن أبي الحسن علي بن أحمد بن علي الفهري الشريفي، المعروف بالبونسي (1177/572-1253/651) السفر الأول من النسخة الكبرى - معنّى هذا أن ما وصل إلينا يمثل قسماً من الكتاب - حققته ودرسته الدكتورّة حياة وقدمته موضوعاً لنيل دكتوراه الدولة، تحت إشراف د. محمد مفتاح الصغير سنة 1997. ويوجد مرقوناً بكلية الآداب، ظهر المهرّاز، جامعة محمد بن عبد الله، فاس، في ثلاثة أجزاء: الأول للدراسة، والثاني والثالث للمتن المحقق عدتها حوالي 1000 صفحة. (6) المصدر نفسه: 2/ 141. ورد هذا القول في ديباجة القصيدة العينية، وهي موجودة بالديوان رقم:

49 ص.ص. 106-107.

(7) نفسه: 2/ 237، والقصيدة موجودة في الديوان رقم: 37 ص.ص. 87-97 وهي مطولة عدتها

62 بيتاً، اختار منها صاحب الكتاب 13 بيتاً فقط.

(8) في المصدر عدة قصائد، وقد اختارت صفحاً عما في الديوان المنشور.

الأمر الذي سيعين على الدراسة المنظمة للشعر الأندلسي، كما يقول محقق الديوان (9) وتوخيت الشيء ذاته في نشر موشحته اليتيمة - لحد الآن - تلك التي احتفظ بها ديوان الموشحات «عدة المجلس ومؤانسة الوزير والرئيس» لابن بشري الغرناطي. (10) وهذه النصوص المستدركة، اليوم، تستدعي إعادة النظر في الأحكام التي أصدرها الدارسون في حق شعر الشاعر، وفي إبعاده عن نظم الموشحات. (11) هذا، وقد سبق لي أن استدركت على هذه النشرة من الديوان قصيدة مطولة وردت في كتاب «مختارات من الشعر المغربي والأندلسي، وتفضلت مجلتنا «الفراء» دراسات أندلسية بنشرها على صفحاتها. (12)

وفي هذه المناسبة أقدم هذه النصوص، المستدركة على الديوان، تحية تقدير وإكبار إلى العالم الجليل المحقق المدقق الدكتور إحسان عباس، صانع ديوان الرصافي البليسي، وإلى المحققة الواعدة الدكتورة حياة قارة، التي اكتشفت كنز الكتاب وحققت نصوصه في أطروحتها الجامعية. والله أسأل أن يجعل هذا العمل خدمة لثراث الفردوس المفقود.*

(9) ديوان الرصافي، مقدمة المحقق: 27

(10) عدة المجلس ومؤانسة الوزير والرئيس لابن بشري الغرناطي، تحقيق: ألن جونز ط. جامعة أكسفورد 1992، موشحة رقم: 62 ص.ص. 95-96. وقد سبق لصاحب هذه المقالة أن عرف بهذا الكتاب على صفحات مجلة دراسات أندلسية عدد 12 جوان 1994، ص.ص. 68-73.

(11) أشير، على سبيل المثل لا الحصر، إلى كتاب الشعر الأندلسي في عصر الموحدين للدكتور فوزي سعد عيسى، ص.ص. 395-404. وكذلك إلى مقدمة محقق الديوان ص: 21.

(12) انظر مجلة دراسات أندلسية عدد 11 يناير 1994 ص.ص. 67-68.

* وصلنا من الدكتورة حياة قارة نفس الاستدراكات على ديوان الرصافي (انظر ص 21 من هذا العدد).

فاكتفينا بما جاء فيها من شعر للرصافي لا يوجد في ديوانه المطبوع، مع الإشارة في الهوامش إلى بعض القراءات التي اختلف فيها الدكتور مصطفى الغديري مع الدكتورة حياة قارة وهي اختلافات قليلة جداً. وختمنا بحث الأستاذ الغديري بموشحة للرصافي لم ترد في استدراكات الباحثة المحترمة وأثبتها هو في دراسته. (هينة التحرير).

موشحة لأبلي عبد الله
بن غالب الرصافي (13)

هم بيارقين وأرتشف ريقين من لمى وراح
ما عليك بأس في الهوى والكاس لا ولا جناح

لا وأوطف سهمه سدّد نحو مقلّي
لا أطعت في حبه المرشد غي عذلي
أي مرشف مشتته المورد عن منه لي

بين مرهقين من ظبا الطرفين يانع فراح
رقرف القياس بالرجا والياس فوقه جناح

شفني غنج جفنه الأدعج لو شفى فمه
أيما فلج واضح أبلج عز ملثمه
خاتم أرج باللمى مدمج شق مبسمه

عن موشرين أشرفا نورين كلما ألح
برقه احتلاس سمي العباس ضاحك الأقباح

خُذْ دَمِي وَذَرِّ	مُقَلَّتِي تَفُتْ	يَا أَبَا الْحَكَمِ
فَهُوَ ذُو بَصَرٍ	كَالَّذِي تَحَدَّثُ	أَعَيْنَ الْأَمَمِ
أَنْتَ يَا قَمَر	عِنْدَمَا حَدَّثُ	عَنْكَ بَلْ أَتَمُّ

نور كُلِّ عَيْنٍ	خَفَّ عَلَيْكَ الْعَيْنِ	لَا تَلُحْ سَرَاحُ
وَابْدُ فِي احْتِرَاسٍ	مِنْ عُيُونِ النَّاسِ	غَيْرِ ذِي انْتِزَاحِ

بَعْتُ الْاِعْتِرَازَ	فَكَ بِالْهُونِ	بَيْعَ غَابِنٍ
لَا أَرَى الْبِرَازَ	فَالْتَفَتُ دُونَ	غَيِّ طَاعِنٍ
فَوْقَ ذِي اهْتِرَازِ	بَذَّ فِي اللَّيْنِ	كُلَّ مَازِنٍ

بِمُخَصَّرَيْنِ	يَا لَهَا خَصْرَيْنِ	إِنْ هَفَا ارْتِيَاخُ
قُلْتُ خُوطُ آسٍ	عَاطِرِ الْأَنْفَاسِ	لَا عِيبَ الرِّيَاخِ

(13) كتاب عسدة الجليس وموانسة الوزير والرئيس لعلی بن بشری الغرناطی: 95-96 رقم: 62

تحقیق آلن جونز. جامعة اكسفورد 1992

لَا أَعْدَدُّ	كُلَّ مَا يَجْنِيهِ	فَهُوَ الْمُنَى
أَتَجَلَّدُ	وَاشْتِكَاءَ التَّيِّهِ	فِي الْهَوَى عَنَّا
إِنْ دَنَا غَدٌ	أَتَغْنَى فِيهِ	لَكَ مُعْلِنَا

الْأَسِيمَرِينَ	غَبْتَ عَنِّي أَيْنَ	يَاضِيَا الصُّبَاخِ
حَيْرُ النَّعَاسِ	وَاللَّعِبِ بِالكَاسِ	عَيْنُكَ الْمَلَاخِ